سلسلة الأنوار
Collection Lumières
ISSN (2716-7852) ر د م ك
المؤتمر الدولي حول: خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة (مارس 2014)

الحركات النسوية بين الخطابات العلمانية و الإسلامية

أ.حيرش سمية
جامعة وهران (الجزائر)
heirechesoumya82@yahoo.fr

لقد اقترضت من من سيغموند فرويد سؤالا في كتابه "عسر في الحضارة" ماذا تريد النساء أن هذا السؤال العظيم لم ينجح أحد في الإجابة عنه حتى الآن. إلا أن هذه الإشكالية التي طرحها فرويد حول الرغبة الإصرارية للمرأة [1]تشكل في واقع الأمر النواة الفكرية والسياسية والفلسفية في تاريخ النضال النسوي من أجل حقوق المرأة في العالم ككل و العربي بصورة خاصة ، و التي كانت تمثل في جوهرها البدايات التاريخية و الفكرية للمشاريع النسوية الغربية و العربية على حد سواء.

إذا كانت النسوية الغربية قد مرت بمراحل تاريخية لها خصوصيتها و طروحاتها المتعددة وتفرعت إلى نسوية ليبرالية ونيوليبرالية، ونسوية اشتراكية، و نسوية راديكالية، ونسوية بيئية، وصار الحديث عن نسوية و مابعد النسوية وغيرها، فعن أية نسوية نتحدث في الوطن العربي، فهل تعد النسوية الإسلامية فرعا جديدا من بين فروع النسوية الغربية؟ و إذا كان المقصود بالنسوية الإسلامية النسوية التي تخص المسلمات فهل يعني بروزها تحويلا لمساري النسوية الغربية والنسوية العربية معا؟ تقودنا هذه المداخلة إلى مناقشة الأصول الفكرية للصراع القائم اليوم بين تيار النسوية الإسلامية كأهم التيارات الواعدة في العشر السنوات الماضية، وعلاقاتها بالنسوية العلمانية و ومواجهتها للمد الأصولي التكفيري .

[1] _ ميرفت حاتم ، ماذا تريد النساء، نحو خريطة نقدية للاتجاهات المستقبلية للنسوية العربية، ، المستقبل الغربي، العدد 401، مركز دراسات الوحدة العربية، 2012، ص20

و لأن بعض الدارسات سعت إلى تأصيل مفهوم النسوية من خلال دمجه في الثقافة الإسلامية وأسلمته إلا أن هذه العملية تختلف عن المرجعيات الفكرية الغربية و اللاتجانس باعتبار أن الإسلام معتقد ديني والنسوية حركة حقوقية مدنية عالمية. فكيف يمكن التوفيق بين موقف إيماني وموقف حقوقي. فهل يعد إضفاء نعت الإسلامية على النسوية تحديدا لمجال عمل هذه الحركة فللغرب نسويته و للمجتمعات الإسلامية نسويتها الخاصة التي تتلاءم مع " الخصوصيات" والسياق التاريخي الراهن، ثم إن شيوع مصطلح "الإسلام النسوي" يوحي أيضا بوجود اتجاه معاكس ينبؤنا عن مخاوف المرأة المسلمة من الفكر الأصولي المتشدد[2]. مما يدفعهن إلى تمييز حركتهن من غيرها من الحركات بأنها معبرة عن مطالب نسوية تتوارى تحت مظلة الإسلام التنويري ولعل حضور النسوية الإسلامية معبر عن واقع هيمنت فيه الهوية الدينية على سائر الهويات الأخرى. وهنا الدين قادر على تحرير المرأة. بفتح باب الإجتهاد مجددا. كما أن إصلاح وضع المرأة ممكن ردا على النسوية الغربية الراديكالية و نموذجها التحديثي، فأمام استشراء ظاهرة التكفير في عدة بلدان، يغدو الالتفاف حول النسوية الإسلامية مفهوما وعقد التوليفات بين العلمانيات والإسلاميات كاشفا عن العنف المسلط على الناشطات و المثقفات العربيات و كيفية مواجهتهن للإسلام السياسي و للنسوية الرسمية: نسوية الدولة .

أدى ظهور تيار الإسلام السياسي في العالم العربي إلى توليد ردود أفعال عدائية من جانب مفكري وأعلام النخب العلمانية و الليبرالية بمختلف أشكالها و اتجاهاتها حيث رأت هذه الفئات في هذا التيار وخطابه الإسلامي تهديدا لخطابها الذي يؤكد ويصر على ضرورة تحديث المجتمع و عصرنته[2].

فإذا كان يعتبر أن النسوية الإسلامية تمثل الخطاب البديل و تحويل لمرجعيتها من خلال بلورة خطاب نسوي ديني قائم على أسلمة مصطلحات تستعار من الفكر النسوي الغربي و العالمي وهذا الإنكباب على دراسة التراث الديني الإسلامي من منظور نسائي يشبه كثيرا ما يعرف في الثقافات الأخرى الدينية باللاهوت النسوي المسيحي أو اليهودي.

---

[2] _ أمل قرامي، النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق، المستقبل العربي، العدد 401، مركز دراسات الوحدة العربية ،2012، ص32

[2] _ Dumont (L) : Le concept moderne de l'individu, Revue Esprit, Paris, Février, 1978.p 26

فكثيرا ما نجد أن المنتمية إلى النسوية العلمانية تجد صعوبة في التعامل مع النسوية الإسلامية، والعكس صحيح . و بالإضافة إلى ذلك ترى رائدات هذه الحركة أن النسوية الإسلامية بحكم نشأتها في الغرب و الشرق قد نجحت في تجاوز ثنائية الشرق و الغرب[3]

هناك عدة عوامل ساعدت على بروز هذه الحركة منها اعتبارات و التزامات سياسية، وأخرى بدوافع أو لغرض تمرير أيديولوجيات و يوتوبيات خطابية محضة، و أخرى ثقافية ، و هي تختلف باختلاف الأسباب و الأفكار و المفاهيم و الظروف و الأساليب التي أدت إلى نشأتها.

كما أن هناك عوامل أخرى أدت إلى انتشار هذا الفكر التنوري و الثوري للمرأة باعتبار أن المرأة قد دخلت سوق العمل و اخترقت أسوار المعرفة، العلمية و الفكرية و الدينية خاصة ، فضلا إلى تأييد المنظمات العالمية و المجتمع الدولي لدور الناشطات و الحقوقيات النسويات في الدفاع عن حقوق وحرية المرأة [4].

بالإضافة إلى تخوف النساء العربيات المستمرة من ذلك المد الأصولي المتشدد و الأفكار التكفيرية الدغمائية والتي تفهم النسوية في منظور الأصوليين المعتدلين منهم أيضا على أن النسوية ترادف في معناها كل ما يتعلق بالسفور و القضاء على الحجاب و إباحة الاختلاط و تحرير المرأة من كل الآداب والشرائع الإسلامية و الدعوة إلى ترسيخ ذهنية التغريب والعلمانية الغربية، و هذه الأصوليات جاءت محملة بموجة من التهديدات العنيفة للقضاء على المرأة واعتبار حريتها خروجا عن الدين وتقديم بدائل عصرية بابتداع فتوات جديدة باسم الدين " الإسلاموفوبيا" و "جهاد الجندر"، هذا ما أدى إلى مطالبة العديد من الناشطات الحقوقيات العربيات و المسلمات على حد سواء إلى التقرب من الإسلام و محاولة تكييف طروحات الحداثة و مفاهيمها حول الحرية وحول الحقوق الطبيعية للإنسان مع طروحات الإسلام، أم العكس،و المتقاربة في مجملها مع طروحات الإسلام؟ لا اتفاق، للوصول إلى إسلام متسامح يكرم المرأة ولا يهينها[5].

---

[3] _ أمل قرامي، النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق، ، ص33.

[4] _ نفس المرجع، ص 24

[5] _ أنظر البخري حمانة :عن الفلسفة وعن الحرية في القرن الحادي والعشرين، العدد 309، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009

و اعتبار أن مصطلح النسوية الإسلامية أصبح اليوم يمثل سفينة النجاة بالنسبة إلى المأزق الذي يعيشه الفكر الإسلامي ، فهي الخطاب البديل للأصولية المتشددة و تحويل للنسوية من خلال بلورة خطاب نسوي ديني قائم على أسلمة المصطلحات التي تستعار من الفكر العالمي النسوي ، وبذلك لم تعد النسوية متمركزة على ذاتها و مروجة لخطابها الإستشراقي[6].

و بناءا على ذلك ، تأتي أطروحة النسوية الإسلامية ردا على النسوية الغربية الراديكالية ونموذجها التحديثي [7]

أما تعريف مصطلح النسوية الإسلامية أو مفهوم النسويات في الإسلام هل هي تعني المرأة كما في العقيدة، أو الممارسة التاريخية أو الإسلام المتصور من خلال النصوص؟ وهل هي الوفاء بالعقيدة قبل الإلتزام بالذات الأنثوية؟ وهل هناك في الخطاب العربي معنى مماثلا لنفس الأهداف التي تحاول الحركات النسوية في الغرب الوصول إليها إذا ما قابلناها بمصطلح " الإسلامية النسوية" أو" الإسلام النسوي" وهل وصلنا اليوم إلى تأصيل مفهوم النسوية من خلال دمجها في الثقافة الإسلامية وأسلمتها بالرغم من اختلاف المرجعيات الفكرية والثقافية والحضارية و المنطلقات الإديولوجية و التحررية العقلانية. باعتبار أن النسوية الغربية لا تتلاءم مع المعطيات الثقافية والاجتماعية و العاقائدية والأخلاقية التي تحكم الإنسان العربي، وحتى إذا ما حاولنا إضفاء سمة النسوية على الإسلام، إلا أنها تبقى غير مقبولة في المجتمعات العربية خاصة المحافظة و الأصولية والمنغلقة و المتشككة المتخوفة منها في أغلبها باعتبار أن مصطلح النسوية في حد ذاته يتنافى مع الدين ويبقى علماء الدين والرجال و النساء المسلمات في معظمهم، متحفظين ومتحفظات خاصة في مسألة حرية المرأة وقضية الحقوق الطبيعية للإنسان التي جاءت بها عصر الأنوار وفلسفة النهضة الغربية.

فالحضارة العربية قامت على التلاقح الثقافي، والنسوية العربية مثلا ارتبطت منذ البدء بخطابات متعددة كالخطاب العلماني و الخطاب الوطني والخطاب القومي وغيرها من الخطابات التوليفة الجديدة كالإسلام

---

[6]_ أمل قرامي، النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق، ص38

[7]_ كلثم الغانم، الأطر الفكرية و الحدود النظرية للفكر النسوي العربي، نظرة تحليلية، المستقبل الغربي، العدد 401، مركز دراسات الوحدة العربية، 2012، 13

النسوي أو النسوية الإسلامية. فهل تمثل النسوية أداة حقيقية للتغيير في واقعنا العربي في ظل الأوضاع التي تعايشها المرأة[8] ؟

يثير ذكر حركة التحرر النسائية (أو الحركة النسوية) ردات فعل سلبية عند أكثر الرجال والنساء تجاه ما قد يعتبر مبالغة أو تطرفاً في تفكير وسلوك نسويين يشبهان إعلان الحرب على الرجال وعلى المجتمع ومؤسساته.

ولا يمكن النظر الى ردات الفعل هذه دون الإشارة الى أنها تعبّر عن خوف عميق من إمكانية زعزعة دعائم النظام البطركي (الأبوي) الذي جرى بناؤه منذ آلاف السنين: نظام هيمنة ذكورية ظل متماسكاً رغم كل الثورات والتطورات التكنولوجية التي حصلت على مر القرون الماضية[9]، إلى حد صارت تبدو فيه السيطرة الذكورية طبيعية وبديهية. لأنها تهدد مصالحهم التي طالما تمتعوا بها في ظل المجتمع البطريكي.

مما أدى إلى نشوء حركات نسوية ثورية ترفض المركزية الذكورية، و الاعتقاد بأن الدين قد تشكل عبر الزمن من زاوية رؤية رجولية ، فضلا عن التنديد بأساليب و أشكال هذه الهيمنة و ووسائل القهر، و هنا توجه الانتقادات إلى المجتمع العربي الذي أنتج خطابا إسلاميا متشددا، وكذلك إلى النساء اللائي توارثن عقلية التسلط والتجريم و التحريم للمرأة، و كذلك الداعيات الإسلاميات لأنهن اعتبرن أن تحرير المرأة مفهوما دخيلا على المجتمع، و أنها علامة على الاغتراب. من هنا تأتي تأكيد أهمية الرجوع إلى الإسلام كنص أصلي لتأسيس خطابات إيديولوجية جديدة تناسب مفهوم المرأة المسلمة و لكنها لا تنسلخ عن الدين، و الإنكباب على دراسة التراث الديني الإسلامي من منظور نسائي وتفكك الموروث الثقافي الإسلامي عن النصوص الإسلامية التأسيسية للتركيز من جديد على مفاهيم الأسرة و المجتمع ودور المرأة فيه، باعتبار أن النسوية كانت متجذرة في دين الإسلام وروح المساواة في القرآن الكريم وتمثل صوتا سياسيا ترجع جذوره الفكرية الأصيلة لتحرير المرأة و الإعلان عن حقوقها الطبيعية ضمنيا إلى النص التأسيسي الأول، القرآن، ولعل أهمها حرية التفكير و حرية التعبير و القول و الفعل و الضمير و حق الاختلاف والمواطنة و العمل أمام استشراء ظاهرة التكفير و التحريم في العديد من البلدان الذي سبق الإسلام الفكر الغربي و الثورات النهضوية التي شهدتها أوروبا في هذه القضية . باعتبار أن القرآن كان

---

[8] _ أمل قرامي، النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق، ص33

[9] - Cf. Dumont: Revue, Esprit, Essais sur L'individualisme, Paris, Mars, 1975.

أكثر إنصافا للمرأة في تاريخ الموروث العربي الإسلامي [9] كل هذا من أجل إنشاء اللاهوت النسوي الإسلامي. هذا ما أعطى دفعا قويا لتحرك النساء المسلمات و إعطاء صياغة وتعريفا جديدا للمرأة بخلاف ما ألفته صورة المرأة الجندر المنهزمة في العقليات السائدة لأمس واليوم. وهذا بداية بمناداة العديد من المثقفين بضرورة إصلاح صورة المرأة المسلمة و انتشالها من براثين التخلف و قرون التهميش و الجهل، و من أداة في الذهنية المترسبة على مر التاريخ، إلى ما يعرف اليوم بالإسلام التنويري الذي يعمل على المطالبة برد الاعتبار للمرأة المسلمة كما ظهر في النص التأسيسي[10]

تعد في العالم العربي إسهامات "رفاعة الطهطاوي" ، خاصة لتوضيح إشكالية موقع المرأة في المجتمع المصري ويعتبر كتابه " المرشد الأمين للبنات و البنين" خاصة في مسألة تعليم المرأة.، والشيخ "الطاهر الحداد" (1899 – 1935) في كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي صدر في تونس عام 1930 الذي حاول مناقشة قضية اضطهاد المرأة، بالإضافة إلى مجمل تلك الدعوات الفكرية بضرورة تحرير الأنثى العربية والتي ظهرت مع أفكار "سلامة موسى" و " قاسم أمين" في كتابه " تحرير المرأة" [11]والطاهر حداد" و "فاطمة المرنيسي"

فالإيمان بأن التقاليد الأبوية الجاهلية هي المتسببة في تدهور وضع النساء العربيات ، وليس الإسلام الذي أعطى للمرأة حقوقها على غرار الديانات الأخرى التي لم تقدم للمرأة في التاريخ ولم يعترف بحقها مثلماً قدم لها واعترف لها الإسلام، فإصلاح وضع المرأة في نظر العقلانيين التحديثيين في العالم العربي ممكن داخل المنظومة الإسلامية، خاصة بفتح باب الاجتهاد في الدين، يتجاوز النصوص المنغلقة و المغلقة على ذاتها، لأن النظام الإسلامي يلتقي في أكثر من أطروحة مع ما أقرت به الليبرالية من فردانية من

[9] _ مرنية لزرق، نظرية ما بعد البنيوية و النسوة في الشرق الأوسط، هل ندور في حلقات، المستقبل الغربي، العدد 401، 2012، ص49

[10]– أمل قرامي، النسوية الإسلامية: حركة نسوية جديدة أم استراتيجيا نسائية لنيل الحقوق، ص37.

[11] _ Cf. Valentine Moghadeam, Qu'est ce que le féminisme musulman, Ed L'Harmattan, Paris, 2007.

حيث المضمون و الهدف[12]، خاصة في قضية الفردانية...والحرية ، والعدالة، وهي الحقوق التي عززها الإسلام بمبدأ التكليف الشرعي دينيا ومبدأ الكرامة الإنسانية عقليا وأخلاقيا، فالإسلام لم يقف موقف المناوئ للمرأة ولحقوقها، انطلاقا من منظومة إسلامية كونية منحت المرأة حقوقا أصلية. ومما لا شك فيه أن إنصاف المرأة إسلاميا والتمسك بفكرة المساواة الإنسانية و الأخلاقيات الدينية، خاصة أدت إلى تمكين المرأة من تفعيل دورها و اكتساح مجال المعرفة الدينية، و استقراء المفاهيم المتوارثة و ربطها بالقيم الواردة في النص الديني التأسيسي للوقوف عند العديد من المفاهيم في التراث الذي أساء للمرأة.

وبناءا على ذلك تأتي أطروحة النسوية الإسلامية ، ردا على النسوية الغربية الراديكالية و نموذجها التحديثي، وتكون مطالب المسلمات تبعا لذلك مختلفة عن مطالب النسويات الغربيات. .

هذا العمل هو بالضبط ما يسعى إلى تحقيقه النسويون من خلال جهدهم الفكري وتحالفهم مع المنظمات الحقوقية الاجتماعية الباحثة عن التغيير والحاملة لمشاريع بديلة.

وبهذا المعنى، تعتبر الحركة النسوية حركة ثورية تغييرية تهدف إلى تحطيم الوعي الجمعي المتوارث ووضع المرأة في موقع (الفاعل) في المجتمع، و هي نفس الموقف الذي عبر عنه الفيلسوف الفرنسي "بيار بورديو"، في هذا المجال، أن هذه الإيديولوجيا المغروسة في اللاوعي الجمعي عند البشر وأنها تحوّلت إلى عنصر غير مرئي وغير محسوس في العلاقات ما بين الرجال والنساء. وينبغي بالتالي إخراج هذا اللاوعي، وتحويله إلى وعي يعيد كتابة التاريخ.

فالنسوية هي منظومة فكرية، أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن.

[12] _ Cf. Florence Montreynaud ; Féminisme n’a jamais tué personne, Ed fides, Canada , 2004.